**المحاضرة العاشرة**

**التنمية البشرية المستدامة وقضاياها في الوطن العربي**

لقد كان لصدور أول تقرير للتنمية البشرية سنة 1990 من قبل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي البداية لمرحلة جديدة في مقاربات التنمية واتجاهاتها، فقد تبلور مفهومين لحد الآن يتم تداولهما بقوة على مختلف المستويات، ويعبران عن اتجاهات تنموية جديدة وترتبط بهما مختلف القضايا المرتبطة بحياة الإنسان؛ وهما مفهوم التنمية البشرية، ومفهوم التنمية المستدامة:

**أولا: مفهوم التنمية البشرية وأبعادها**

يمكن اعتبار إصدار برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أول تقرير للتنمية البشرية عام 1990، البداية الفعلية لإعادة مراجعة الفكر التنموي الذي كان مهيمناً قبل التسعينيات من القرن العشرين، والبداية الحقيقية لتصحيح التصورات التي ارتبطت بالسياسات التنموية في البلدان النامية.

فمنذ بداية التسعينيات باشر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في بلورة مفهوم جديد للتنمية يتضمن دلالات ذات بعد إنساني وثقافي واجتماعي، فتمّ تبني مفهوم التنمية البشرية، ليضفي على مفهوم التنمية دلالات أكثر شمولية وأوسع مجالا، بحيث تتجاوز ربط التنمية بالنمو الاقتصادي فقط، بمعنى أنّ مؤشر تحقق التنمية في بلد ما لا يرتبط فقط بتحقيق معدلات مرتفعة في نمو الناتج المحلي، والرفع من مستوى دخل الفرد؛ بل تتحقق التنمية بمستوى زيادة الخيارات المتاحة للإنسان، وبمستوى إشراكه في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

لقد كان إصدار برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للتقرير الأول حول التنمية البشرية سنة 1990، بداية حقيقية لمراجعة مفهوم التنمية وتوسيع مضمونه ليعبِّر عن دلالات أكثر أهمية وأولوية في السياسات التنموية، خاصة بالنسبة لبدان العالم الثالث.

**مفهوم التنمية البشرية**

لقد تم تداول من خلال تقرير 1990 لأول مرة مفهوم التنمية البشرية للدلالة على الأبعاد الجديرة بالاعتبار، والتي يجب أن تكون من أولى الأولويات في السياسات التنموية خاصة في البلدان النامية.

إن المفهوم الجديد يتضمن بوضوح أولوية البعد الإنساني في التنمية، وعلى الرغم من الأولوية التي أعطيت لتشكيل القدرات البشرية وتطويرها من أجل تحسين المستويات الإنتاجية، إلا أن المفهوم الجديد أكد على أنّ الإنسان هو صانع التنمية وهو هدفها.

يُعرّف تقرير 1990 التنمية البشرية على أنها:

**عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس، ومن حيث المبدأ، فإن هذه الخيارات بلا حدود وتتغير بمرور الوقت، أما من حيث التطبيق، فقد تبين أنه على جميع مستويات التنمية، تتركز الخيارات الأساسية في ثلاثة: هي أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، وأن يكتسبوا المعرفة، وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة. وما لم تكن هذه الخيارات الأساسية مكفولة، فإن الكثير من الفرص الأخرى سيظل بعيد المنال. بيد أن التنمية البشرية لا تنتهي عند هذا الحد. فهناك خيارات إضافية يهتم بها الكثير من الناس وهي تمتد من الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلى فرص الخلق والإبداع، واستمتاع الأشخاص بالاحترام الذاتي، وضمان حقوق الإنسان** **[[1]](#footnote-1)(1).**

إن هذا التعريف يؤكد على معاني جديدة لم تكن تولى بأهمية كبيرة من قبل، فبعدما كان يُنظر للإنسان فقط على كونه وسيلة للتنمية تم التأكيد على أن يكون هدفاً لها؛ من خلال تمكينه من توسيع خياراته المتاحة، وعلى رأسها تمكينه من أن يحيا حياة صحية خالية من الأمراض، وأن يُمكّن من التعلّم، وأيضا أن تُوفر له كل السبل لامتلاك الموارد المناسبة للحياة الكريمة.

**وللتنمية البشرية جانبان:**

**الأول هو تشكيل القدرات البشرية مثل تحسين مستوى الصحة والمعرفة والمهارات.**

**والثاني هو انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة إما للتمتع بوقت الفراغ أو في الأغراض الإنتاجية أو في الشؤون الثقافية والاجتماعية والسياسية.**

**وما لم تستطع مناهج التنمية البشرية إيجاد توازن دقيق بين هذين الجانبين فإن الشعور العميق بالإحباط يصبح محصلة طبيعية**

**وتختلف هذه الطريقة لتحليل التنمية عن المناهج التقليدية المتبعة في تحليل النمو الاقتصادي، وتكوين رأس المال البشري، أو تنمية الموارد البشرية، أو الرفاهية البشرية، والاحتياجات الأساسية البشرية. لدا فإنه من الضروري تحديد الفروق بين هذه المناهج بوضوح لتجنب أي لبس:**

**فنمو الناتج القومي الإجمالي يُنظر إليه هنا على أنه ضروري، لكنه غير كاف للتنمية البشرية. فقد تفتقر بعض المجتمعات إلى التقدم البشري رغم سرعة نمو الناتج القومي الإجمالي أو ارتفاع دخل الفرد في المتوسط، ما لم تتخذ بعض الخطوات الإضافية.**

**تتوجه نظريات تكوين رأس المال البشري وتنمية الموارد البشرية إلى الناس باعتبارهم وسيلة وليس غاية. ولا تهتم هذه النظريات إلا بجانب العرض ـ أي في اعتبار البشر أدوات لازمة لعملية إنتاج السلع. ويُقصد بوجهة النظر هذه أن البشر هم أكثر عوامل الإنتاج نشاطاً لكنهم ليسوا سلعا إنتاجية تستخدم لإنتاج سلع أخرى. فهم الهدف الأسمى للعملية الإنتاجية والمنتفعون بها.**

**تنظر مناهج الرفاهية البشرية إلى الناس كمنتفعين من عملية التنمية أكثر من كونهم مشاركين فيها. وتهتم هذه المناهج بسياسات التوزيع أكثر مما تهتم بهياكل الإنتاج**

**عادة ما يركز منهج الاحتياجات الأساسية على مجموعة من السلع والخدمات التي تحتاجها الفئات السكانية المحرومة، مثل الغداء، والمأوى، والملبس، والرعاية الصحية والمياه. وإزاء هذا التركيز على توفير السلع والخدمات تتوارى مسألة الخيارات البشرية[[2]](#footnote-2)(1).**

مع هذه المقولة نتعرف إلى طرفي المعادلة الداعية إلى أن الإنسان هو صانع التنمية، وهذا ما تعكسه أساساً مسألة تشكيل القدرات والاستثمار في البشر، وكذلك الإنسان هو هدف التنمية، وهذا ما تعكسه أساساً مسألة انتفاع البشر بقدراتهم المكتسبة... وهو يوافق عل أهمية النمو الاقتصادي، غير أنه لا يوافق النموذج الاقتصادي الذي يرى في هذا النمو هدفاً بحد ذاته... كذلك يحدد هذا المفهوم المسافة بينه وبين نظريات تكوين رأس المال البشري وتنمية الموارد البشرية، من حيث إن هذه النظريات تركز أساساً على تشكيل القدرات البشرية وعلى اعتبار البشر وسيلة العملية الإنتاجية، وتهمل إلى حد بعيد الجانب الآخر من المعادلة المتمثل بانتفاع البشر بقدراتهم المكتسبة وبكونهم الهدف النهائي للتنمية[[3]](#footnote-3)(1).

**ثانيا: مفهوم التنمية المستدامة**

لقد أثبتت خبرة السبعينيات والثمانينيات بأنّ التنمية لا يمكن أن تستمر في ظل الاعتداءات المتكررة على البيئة، فقد أدى التوسع في الصناعات والتوسع إنتاج التكنولوجيات المتقدمة، والتطور في إنتاج المبيدات والمنتجات الكيماوية إلى تلويث كبير للبيئة.

كما اعتبر الفقر أحد أهم أسباب الاعتداء على البيئة، لما يترتب عليه من اعتداء على الغابات، وما ينتج عن ذلك من تصحر وارتفاع درجة حرارة الكون، وسوء استخدام للموارد الأولية.

في هذا الإطار ظهر مفهوم التنمية المستدامة (المطردة أو المستديمة، أو المتواصلة، أو المستمرة)، الذي يأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين الفقر والبيئة، والتفاعل بين التنمية والبيئة. والمقصود بالتنمية المطردة (المستدامة) هي تلك التنمية التي تؤمن إشباع حاجات الأجيال الحاضرة دون الانتقاص من قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بحاجاتها. والسبيل إلى ذلك ليس فقط الاستخدام الحكيم للموارد الحالية والمحافظة عليها من أخطار التلوث والتبديد والتخريب.

1. (1) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. **تقرير التنمية البشرية لعام 1990.** (نيويورك: جامعة أكسفورد، القاهرة: وكالة الأهرام للإعلان)، 1990، ص 18 ـ 19. [↑](#footnote-ref-1)
2. (1) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. **تقرير التنمية البشرية لعام 1990.** المرجع السابق، ص 18 ـ 19. [↑](#footnote-ref-2)
3. (1) جورج القصيفي. **التنمية البشرية: مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون**. ورقة ضمن أعمال ندوة: التنمية البشرية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 89. [↑](#footnote-ref-3)